

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه آثار وحياتة الإبراهيمي:

□ □ إذا استعرضنا حياة الإبراهيمي نجدها تنقسم إلى سبعة أقسام:

1_ مرحلة التكوين و التحصيل الأولى (1889-1911):

ولد بقرية "رأس الوادي": بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 14 يونيو □ عام 1889 م، وفي بيت أسس على التقوى، من بيوتات العلم والدين، و قد أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف مواهبه المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تربيته و تكوينه، حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة .

2_ المرحلة المشرقية الأولى (1911-1920):

هاجر جدي، الشيخ السعدي الإبراهيمي إلى المدينة المنورة عام 1908 هـ رويًا من ويلات الاستعمار الفرنسي، ولاحق به والدي عام 1911، تأكيدًا للتفاعل بين المشرق والمغرب، مرورًا بمصر التي أقام بها ثلاثة أشهر، التي التقى خلالها بعدد من علمائها و أدبائها و شعرائها، و حضر بعض دروس العلم في الأزهر، و عندما □ استقر بالمدينة المنورة درس فيها على كبار علمائها - الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي - علوم التفسير، و الحديث، و الفقه، و التراجم، و أنساب العرب، و أدبهم، و دواوينهم، كما درس علم المنطق و الحكمة المشرقية، و أمهات كتب اللغة و الأدب، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي، و يقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة و الخاصة باحثًا عن المخطوطات .

و التقى خلال إقامته بالمدينة المنورة، في موسم الحج عام 1913، بالإمام عبد الحميد ابن باديس، و ما من شك أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء .

و في سنة 1917، انتقل الإبراهيمي إلى دمشق، حيث دعتة حكومتها الآداب العربية بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر)، و هي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك، بالإضافة إلى لقاء دروس الوعظ و الإرشاد في الجامع الأموي، و قد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة .

من الأماكن التي كانت لها مكانة خاصة في قلب الوالد -بعد مسقط رأسه- المدينة المنورة، و كان رحمه الله - يحثني - بعد الاستقرار - على قضاء شهر رمضان بالمدينة، لما للمكان من بعد روجي، ولسكانها من خلق و طيبة، و مدينة دمشق التي تزوج فيها بالوادي رفيقة العمر -رحمها الله رحمة واسعة - ودفن فيها والده و حماه و ابنه.

3- مرحلة المراهقات (1920-1931):

قرر الإبراهيمي العودة إلى الجزائر سنة 1920، و في مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام و العربية في الوطن و تنشر العلم، و تبعث الأمة، و أعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية و صحفية بمدينة قسنطينة، فأقام بمدينة سطيف و أنشأ بها مدرسة و مسجداً، بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية، و تعاطى التجارة ليقوم بأود عائلته، و بقي على اتصال بابن باديس. و خلال هذه المرحلة تردد على مدينة تونس حيث كان يقيم أشهره، و حيث كانت له صداقات في الأوساط العلمية و الأدبية .

4- بدايات جمعية العلماء (1931-1940):

في عام 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كرد فعل إيجابي على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر، بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت إلى الأبد قطعة منها، مسيحية الدين، فرنسية اللسان، فجاء شعار الجمعية صارخاً مدوياً في وجه فرنسا، و راسماً طريق الخلاص منها: "الإسلام ديننا، و العربية لغتنا، و الجزائر وطننا".

و وضع الإبراهيمي دستور الجمعية و قانونها الأساسي، و أصبح نائباً لرئيسها الإمام ابن باديس، و منذ عام 1933 تكفل بالمقاطعة الغربية من القطر، و اختار مدينة تلمسان مركزاً لنشاطه المكثف، و أسس فيها "مدرسة دار الحديث" سنة 1937، بنيت على نسق أندلسي أصيل، فكانت مركزاً لإشعاع ديني و علمي و ثقافي، و احتوت على مدرسة و مسجد و قاعة محاضرات.

5- قيادة الحركة الدينية و الثقافية بالحزب (1940-1952):

بعد أن رفض الإبراهيمي رفضاً قاطعاً كل محاولات فرنسا لإفرائه و احتوائه أو تثبيط عزيمته، قررت السلطات الاستعمارية نفيه إلى قرية "أقلو"؛ "أقلو" في الجنوب الغربي من الوطن، في مطلع الحرب العالمية الثانية.

و بعد أسبوع من نفيه تلقى خبر وفات رفيقه الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله، و خبر اجتماع أعضاء الجمعية و انتخابهم له

رئيساً رغم المضغوط الفرنسية المرامية إلى انتخاب غيره ، فتحمل مسؤولية قيادة الجمعية غيبياً، وتولى إدارتها بالمراسلة طول الأعوام الثلاثة التي قضاهها في المنفى، وبعد إطلاق صراحه عام 1943 ، أصبح قائداً للحركة الدينية والعلمية و الثقافة في الجزائر ، يجوب ريوها معلماً و موجهاً و مرشداً، يوحّد الصفوف و يؤسس المدارس و المساجد و النوادي و يهيئ العقول لساعة المصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية. و قد زج به في السجن بعد أحداث مايو 1945، بقي فيه عاماً كاملاً ذاق الأمرين في زنزانة تحت الأرض حيث المظلمة و الرطوبة ، مما استدعى نقله إلى المستشفى العسكري بقسنطينة ، فتحمل هذه المحنة بصبر المجاهد ، و يقين المؤمن .

وفي سنة 1946 استأنف نشاطه ، فبعث جريدة "البصائر"؛ من جديد في السنة الموالية بعد أن توقف أثناء الحرب ، وأشرف على تحريرها ، كما أسس معهداً ثانوياً أطلق عليه اسم رقيقه و صديقه المرحوم عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة حظيت شهادته بالاعتراف من الجامعة الزيتونية و من معاهد الشرق العربي ، و من هذا المعهد تخرج رجال قادوا الثورة المسلحة ، فمنهم من استشهد في الجهاد الأصغر ، و منهم من ساهم غداة الاستقلال في إعادة بناء هذا الوطن كقياديين أو إطارات سامية في الدولة ...

6- المرحلة المشرقية الثانية (1952-1962):

سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي للمرة الثانية عام 1952 ممثلاً لجمعية العلماء ليسعى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها و جامعاتها ، و طلب الإعانة المادية و المعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها و جهادها ، و التعريف بالمقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها أو التقى مسؤوليها ، ولدى جامعة الدول العربية .

وقد اتخذ مصر منطلقاً لنشاطه ، ورعى فيها أولى البعثات الطلابية ، وكان سفيراً للجزائر و صوتها المدوي، يلقى المحاضرات و الدروس ، و الأحاديث الإذاعية قبل الثورة التحريرية و أثناءها . و قد زار في هذا الشأن -بعد مصر- كلاً من المملكة العربية السعودية ، و العراق ، و سوريا ، و الأردن و الكويت و باكستان .

و وجّه يوم 15 نوفمبر 1954 - أي بعد أسبوعين من اندلاع الثورة - نداء إلى الشعب الجزائري ، يدعو فيه للالتفاف حول الثورة المسلحة ، و خوض غمار الجهاد المقدس ، و التضحية بالنفس و النفس ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لحياة العزة و الكرامة ، وكان هذا النداء إسكاتاً لكل من يريد التشكيك في شرعية الجهاد باسم الدين ، و دفعاً قوياً للثورة الوليدة .

7- المرحلة الأخيرة (1962-1965):

و هي التي عاد الإبراهيمي فيها إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال حتى وفاته في 20 مايو 1965 ، و خلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة ، و بسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زغت عن الاتجاه الإسلامي ، فانحصر نشاطه في حدثين مهمين هما :

_____ إلقاء أول خطبة جمعة بعد استعادة الاستقلال ، افتتح بها مسجد "كتشاوة" بالعاصمة ، الذي رجع كما كان مسجداً بعد أن حوله الاستعمار الفرنسي إلى كاتدرائية طول قرن وثلاث ، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهورة بحضور وفود من جميع الدول العربية و الإسلامية .

_____ إصدار بيان 16 أبريل 1964 ، الذي دعا فيه السلطات آنذاك للعودة إلى الحكمة و الصواب ، وإلى جادة الإسلام بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية ، تنتهج نهجاً ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا و روحنا و جذورنا .

آثاره رحمه الله :

عيون البصائر : و هي المقالات التي كتبها في جريدة "البصائر" في سلسلتها الثانية .

كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر: المتزم فيه اللهجة السائدة اليوم في مواطن هلال بن عامر .

كتاب النقايات و النفايات في لغة العرب : جمع فيه كل ما جاء على وزن "فعالة" (من مختار المشيء أو مردوله).

كتاب أسرار المضمائر في العربية .

التسمية بالمصدر .

المصفات التي جاءت على وزن "فَاعِل" : بفتح العين.

نظام العربية في موازين كلماتها .

الماطراد و المشذوذ في العربية (رسالة في الفرق بين لفظ المطرد و الكثير عند ابن مالك).

كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال المسائرة .

رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا إثنان .

رواية :كاهنة الأوراس .

رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة و العامية .

كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.

كتاب شعب الإيمان : جمع فيه الأخلاق و الفضائل الإسلامية .

و من أعظم ما دون رحمه الله ، ملحمة رجزية نظمها في السنين التي كان فيها مبعداً في الصحراء الوهرانية ، وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، و قد تضمنت فنوناً من المواضيع : تاريخ الإسلام و وصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا ، و للمجتمع الجزائري بجميع فرقته و نحله ، ولأفانين في المهزل للمذاهب الاجتماعية و الفكرية و السياسية المستجدة ، و الإنحاء على الابتداع في الدين ، و تصوير لأولياء الشيطان، ومحاورات أدبية رائعة بينهم و بين الشيطان ، و وصف للاستعمار و مكائده و دسائسه و حيله و تخديراته للشعوب للقضاء على مقاومتها .

□ وهناك العديد من المحاضرات و الأبحاث التي كتبها عنه تلامذته حين ألقاها و فتاوى متناثرة .

□

□

المصدر: آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لنجله طالب الإبراهيمي (ج1-ج5)

□

□